الدكتور سالم الحمداني

شعر المقاومة الفلسطينية المحلية والعالمية

هل شعرنا المقاوم ملتزم؟وما أبعاد الالتزام فيه؟

يقول غسان كنفاني(عالمياً يدرك شعر المقاومة التزامه بحركة الثورة في العالم التي هي في نهاية المطاف المناخ الذي تنمو بداخله الحركة الثورية المحلية تؤثر فيه وتتأثر)(١)فاذا كانشعر المقاومة يلتزمبحركةالثورةالمحلية،ويلتزمايضاًبحركة الثورةالعربيةكلها ثم يلتزم بعد هذا وذاك بحركة الثورة العالمية،فهو إذن شعر ملتزم.والتزامهذا الشعر بحركة الثورة في العالموتعبيره عن قضية الانسان في كل مكان،ونظرته الواعية لمسألة حرية الفرد ومقاومة الظلم الذي يواجهه،ومواجهة الاستبداد الذي يعتقل حريته،هلتضع هذه الاسباب شعرنا المقاوم في موقع العالمية؟

يقول غنيمي هلال(ان الادب استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية للوطن والقومية،وموضوعه تغذية لهذه الحاجات، فهي محلية موضوعية أولا،وهي تشف عن غايات عالمية ولكن من وراء التعبير عن المسائل والامال والالامالقومية وما يتبع ذلك من المواقف النفسية والخواطر الذاتية... فالادب وطنية وقومية أولا. وخلود الاثار الادبية لايأتي من جهة عالمية دلالاتها،ولكنه ينتج عن صدقها، وتعمقها في الوعي الوطني والتأريخي وأصالتها الفنية في تصوير آمالها وآلامها(٢).

(١) الادب الفلسطيني المقاوم : ٦٣ .

(٢) الادب المقارن : ١٠٤و١٠٥ .

ولا شك في ان شعرنا المقاوم يعبر تعبيراً أصيلا عن معركة شعبنا ضد الارهاب والاحتلال ويجسد تجسيداً عميقاً أماني هذا الشعب الفلسطيني والشعب العربي في استعادة ارضه المقدسة بل في استعادة حريته وكرامته واثبات وجوده .

واذا تجاوز هذا الشعر ،التعبير عن ثورة الشعب العربي في استعادة حقوقه، الى التعبير عن صراع الانسان من اجل حريته ووجوده وكرامته ،فما احراه اذن ان يكون في عداد عالمية الادب فهو اذن شعر عالمي انساني يسهم في بناء الحضارة العالمية الحاضرة .

واذا كان الشعر العالمي تعبيراً عن الامال والالام القومية وتجسيداً للمواقف النفسية والخواطر الذاتية. فأن شعرنا المقاوم شعر عالمي ،لانه مرتبط بأخطر قضية يعاني منها الانسان العربي في هذا العصر تلك هي قضية وجوده وحفاظه على كرامته ،وهذا الوجود مرتبط أشد الارتباط بحركةالجماهير العربية ،لالأنهاتريد ان تدافع عن حقوقها المهضومة أو تستعيد حريتها المسلوبة فذلك ممايحصرها في نطاق المحلية وانما لان هذه الحركة مرتبطة بالتالي بالاماني الانسانية كلها ولأن التعبير عن هذه الاماني لا يتم الا عن طريق التفاعل مع كل الحركات التقدمية الثورية في العالم والتي ترفع شعار اسقاط كلالانظمة التي تحرم الانسان حريته وتمسك عنه لقمته وتقف بينه وبين أمانيه الوطنية والقومية من جهة ثم أمانيه الانسانية والعالمية من جهة أخرى. ولذلك صار هذا الشعر المقاوم كما يقول محمد دكروب (شعر قضية، مرتبط ومتفاعل بالحركة الثورية.. وان الشعراء أنفسهم مندمجون بحركة الجماهير يخوضون معها المعركة ويعبرون عنها في وقت واحد—ويرون أن الشعر يؤدي دوره الثوري داخل الجماهير لاخارجها، وان هذا الشعر—جزء من شعر المقاومة والاحتجاج في العالم يتجلى بملامح فلسطينية)(١).

وبعد ،فاذا جاءت هذه المقدمة للتعريف بشعرنا العربي المقاوم ولوضعه في موقعه الملائم بين شعر المقاومة والاحتجاج في العالم،فما هي الاتجاهات التي

(١) ديوان محمود درويش : ص ٢٢ .

يتحرك في اطارها هذا اللون من الشعر وهل يقتصر على التعبير عن القضية المحلية فينحصر في الارض الفلسطينية أو أنه يتحرك في حدود الارض العربية كلها فيعبر عن الاماني القومية للامة العربية وانه يسهم في التعبير عن آمالها المشتركة وامانيها الكثيرة فيخوض معها معاركها في كل جانب ويضع يده في يدها في أي طرف ؟

أو أن هذا الشعر يتعدى حدود هذه المحلية وتلك القومية ليشارك الجماهير الكادحة في كل بقعة من بقاع العالم معركتها المصيرية ويخوض معها أقسى التجارب ! !ثم أليس لهذا الشعر المقاوم من خلفية يرتكز عليها وجذور يمتد اليها وابعاد يتصل بها ، وعلى أي من الشعراء ترتكز هذه الخلفية ، ومن أولئك الذين كان لهم فضل السبق في خوض هذه المعركة المقدسة ثم كيف عبروا عنها ومن أي اتجاه فني أو سياسي كان ذلك التعبير؟!

واذا جاز لنا أن نعتبر منتصف القرن التاسع عشر بداية للنهضة العربية الحديثة —كما يرى ذلك أغلب الدارسين—فأن شعرنا الفلسطيني قد أسهم منذ هذه الفترة في حياتنا الادبية.ووجدنا شعراء من مثل يوسف النبهاني وعباس الخماش ويوسف أسعد وسليم اليعقوبي والياس مرمورة وغيرهم يعالجون نظم الشعر. (الا ان المضمون كان مثقلا بالقيم الدينية والمدائح السلطانية)(١) شأنه في ذلك شأن كل شعرنا العربي في هذه الفترة.

ومنذ مطلع هذا القرن أصبح للشعر أغراض اوثق أتصالا بالحياة من الموضوعات التي راجت قبل ذلك من مثل معالجة قضايا الاستعمار والخطر الصهيوني والموضوعات الاجتماعية والقول في السجون(وقد اخذ الاحساس بالكيان العربي يملأ نفوس الناس في هذه المرحلة)(٢).(وفي هذه المرحلة تتضح أهداف الحركة العربية)(٣). ونجد أنفسنا فيها أمام عدد آخر من الشعراء،

---

(١) عبد الرحمن ياغي : حياة الادب الفلسطيني الحديث ص ١٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٧٣ .

ملأ الحياة الادبية ذكرهم كاسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني واسكندر الخوري البيتجالي وسعيد الكرمي ووديع البستاني وابراهيم الدباغ..وفي فترة مابين الحربين (اتصل الشعر اتصالا وثيقا بالقاعدة الشعبية وأصبح ألصق بالقضية الوطنية والثورات بوجه الاستعمار)(١).ومنها أيضا تبرز أسماء جديدة من الشعراء كان لها صداها في تجسيد الحركة الوطنية الفلسطينية. وصارت أقدر على الالتحام بجماهير الامة العربية، كعبد الرحيم محمود وفدوى طوقان وعصام حماد والسكاكيني والنشاشيبي، حتى اذا اقترب موعد النكسة الاولى عام ١٩٤٧ وجدنا الشعر أقدر على معايشة الثورة وتجسيد أماني الشعب الفلسطيني وتصوير مآسيه، وفي هذه الفترة يمس الشعر تيار حزين موجع هو أثر من آثار التيار الرومانسي الذي بدأ ينشر أجنحته على الشرق العربي منذ مطلع هذا القرن ولكن اعصار النكبة الذي أخذ يقترب من أرض فلسطين كان العامل الفاعل في خلق هذا التيار حيث كانت الظروف تشير الى موعد وصول ذلك الاعصار.على أن أثر الشعر في هذه المرحلة الطويلة لم يستطع أن يتجاوز حدوده المحلية والقومية الى حد بعيد، فقد كان ينقصه في رأينا وضوح الرؤيا من ناحية.ومن ناحية أخرى لم يستطع هذا الشعر ان يواكب الوضع السياسي سواء أكان ذلك على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي.

ومن هنا فقد قصر هذا الشعر في أداء دوره القومي حيث وجدنا الشعراء تشغلهم موضوعات الحياة الاجتماعية وغيرها عن موضوع المعركة القومية.

ولعل هذا التقصير لم يكن سببه الشعر وحده أو الشعراء أنفسهم فحسب وانما يعود السبب الى ظروف السياسة العالمية التي لم يستطع شعراؤنا العرب بما لديهم من قدرة محدودة على الاسهام فيها، والتأكيد على قضيتهم من خلالها ولم تكن الامة العربية بعامة لتمتلك مصيرها أو تحدد خط سيرها القومي والسياسي بحيث تستطيع معه ابراز مشكلتنا الفلسطينية سواء بالشعر أو بغيره، وعلى أية صورة

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٣٣ .

فأن شعرنا الفلسطيني الحديث استطاع من بعد النكبة الاولى أن يحدد هويته ويوضح خط سيره فيلعب دورا فاعلا لا في حركة التحرر العربية فحسب وانما في حركة الثورة العالمية، شأنه في ذلك شأن الثورة العربية المعاصرة التي استطاعت ان تتجاوز العزلة وتسهم في حركة تحرير الانسان من واقعه المؤلم. ومن بعد نكبة ١٩٤٧ تطورت الموضوعات تطوراً ملموساً فأذا هي تعالج قرار التقسيم وتتكلم على هيئة الامم المتحدة وتتحدث عن مولد اسرائيل وحرب فلسطين والحض على البذل والتضحية والفداء والاشادة بالاستشهاد والجهاد وتصوير اللاجئين في مآسيهم، وتنقم على الحكام. و من بعد هذه النكبة نجد كثرة كاثرة من الشعراء من مثل محمود الحوت وفتح الله عواد وفدوى طوقان وسميرة أبو غزالة وهارون هاشم رشيد وعيسى الناعورى ومصطفى الكيلاني وعلي هاشم رشيد وخليل زقطان ودعد الكيالي وخالد نصرت وكمال ناصر. فلا بدع اذن ان يسهم الشعر اسهاماً فعالا في حركة الثورة الفلسطينية ويكون عاملا مهماً في مقاومة الهزيمة.

ولا شك أن هذا النبع الثر الذي احتوى شعراءنا المحدثين هو المصدر الذي يتفرع عنه جدول محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران وراشد حسين وغيرهم. وهذا البحث هو الذي يوضح الاجابة عن مامر من تساؤلات، محاولا دعم كل الافتراضات بنصوص من شعر الشعراء.

أول الافلاك التي يدور حولها شاعر المقاومة الفلسطيني ارضه التي نبت فيها وتغذى من خيرها وشرب من مائها. وطبيعي ان يتجه هذا الشعر اول مايتجه الى شعبه يخوض معه معركة المصير ويعبر عن امانيه وآماله المشتركة ويتألم لجراحه ويأسى لأساه. وأول مايطالعنا من هذا التعبير هو الامتزاج بأرض الوطن والتعمق بحبه والاعتزاز بالبيئة المحلية والتعلق بالارض الفلسطينية المقدسة ولا بأس ان نطلق على هذا كله حب الارض وحب الوطن. وحب الوطن عند شاعر المقاومة شجرة معطاء تضرب بجذورها الى أعماق أرض الوطن فهو لا ينفصل عنها ولا

ينفك منها ولذلك وجدناه يتغنى بهذه الارض. ويعتز بها ويستعرض في شعره احلى ذكرياته فيها ولا يفتأ يردد مع فتحي قاسم شاعر الارض المحتلة:

سأبقى رغم اذلالي
وحصني والاسى الممقوت
هنا في حصن اجدادي
سأبقى رغم اذلالي
ولن أرحل
هنا جذري وتاريخي
وقصة حبي الاول
بعزمي والدم الغالي
باصراري
واهتف رغم آلامي
ورغم البغض والذل
هنا وطني(١)

فهو يتحمل الذل ويصبر على الهوان ولكنه يهتف رغم كل ذلك (هناوطني). أما محمود درويش فهو يذوب في هذه الارض ذوبانا كما تذوب قطعة الثلج بالماء.

وطابع البساطة يسيطر على أبياته سيطرة ملحوظة فهو لا يتعلق بهذه الارض وانما ينحني لها تقديرا وتقديسا واجلالا .بل هو يعبدها عبادة حين يقول:

بلادي..ياطفلة عبدة
تموت القيود على رجلها

. . .

(١) عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة ص ٦٥٠ .

دعوني أقبلها
أصلي لها
دعوني أقبلها قطعة قطعة.(١)

وقديما تحدثوا عن التكرار واستملحوه في مواضع كثيرة ونحن هنا لا نستملحه فقط بل نستشف من خلفه قوة التأكيد والالحاح على الشيء وذلك في تكرار لفظة دعوني.ولفظة: قطعة.ولعله أراد بها هنا التأكيد على هذا الحب.

وتجسد فدوى طوقان انفعالات الانسان الفلسطيني المشرد وتصور عواطفه ومشاعره حين يهوى على أرضه يشم ثراها ويقبل تربتها ويعانق شجرها ويضم الى قلبه حصاها،تماما كما يفعل الطفل وهو يلقي بنفسه في أحضان أمه حبا وشوقا بعد طول فراق.

وأهوى على أرضه في انفعال يشم ثراها.
يعانق اشجارها ويضم لآلي حصاها
ومرغ كالطفل في صدرها الرحب خدا وفم
وألقى على حضنها كل ثقل سنين الألم

فأرض فلسطين هنا هي الام الحانية وطفلها هو الفلسطيني الذي شردته الاحداث،وحرمته حنان الارض وعطفها،وأروع من هذا كله هو هذا التصوير النفسي الرائع الذي تقدمه الشاعرة لتجسيد حب المواطن الفلسطيني لارضه وتعلقه بها فتقول:

وهزته أنفاسها وهي ترعش رعشة حب
وأصغى الى قلبها وهو يهمس همسة عتب
رجعت الي!
رجعت اليك وهذي يدي
سأبقى هنا،سأموت هنا،هيئي مرقدي(٢)

---

(١) ديوانه : ١٠٣

(٢) ديوان وجدتها : ص ١٧ و ١٨ .

ويرى محمود درويش ان الموت على ارض فلسطين خير له من الرحيل عنها وهجرهاوتلك لعمرى غاية ما يصل اليه الحب لموطن الولادة بل موطن الذكريات استمع اليه في أروع صور الولاء والتقديس يقول:

يا نوح هبني غصن زيتون.
ووالدتي...حمامة
أنا صنعنا جنة
كانت نهايتها صناديق القمامة
يا نوح لا ترحل بنا
ان الممات هنا سلامة
انا جذور لا تعيش بغير أرض(١)

اليست هذه صورة من صور الانسانية التي لا تحلم الا بالسلام،وما أروع هذه الصورة الختامية وما أشد دلالتها التي تعبر عن امتزاج الدم بالتربة. على ان هذا العشق والحب للارض التي سجد لها الشاعر تقديساً وحباً وولاء صار فيما بعد اشبه بالطلل الذي لا يثير في نفس الشاعر الا الحزن والاسى،ولا يدفع الا الى استذكار الحنين والتعبير عن معنى الاغتراب.ولم لا؟ألم يعش شوقي هذه التجربة حين نفي الى الاندلس بعيداً عن أرض الوطن؟ ومن قبله كان البارودي يعاني نفس التجربة فيحن الى تربة الوطن ويبكي الاهل والأحبة والاصحاب من جزيرة سرنديب التي قضى فيها سبعة عشر عاماً طريداً شريداً؟ فاذا كانت هذه الغربة تثير في نفوس الشعراء مشاعر الحنين والالم والشوق؟ فهي أولى أن تثير مشاعر أقوى في نفوس شعراء الارض المحتلة.لان التجربة هنا اشد عمقاً وأكثر نضجاً،ومن هنا عبر الشعراء عن هذه التجربة بمشاعر انسانية عميقة هي مشاعر رومانسية حزينة تمثلها بحق هذه الابيات لمحمود درويش.وقد استطاع فيها أن يرسم لوحة لهذا الحنين على أرض سلبت،

(١) ديوانه : ٢٦٤ .

وصارت ذكريات أشبه بأطلال القدماء، هذه الذكريات أو(الاطلال)عند محمود درويش هي الكروم والحقول والخضرة التي تزقزق في أجوائها العصافير، وهي عنده أيضاً في شجرة التوت وبيادر القمح وسنابل الحنطة، وهي أيضاً الحكايات والاغنيات:

حدثوني عن بلادي انهـــا حلم يغمر آفاق حياتـي
عن كروم رحبة مثل المـدى وحقول طيبات ناضـرات
ترقص الشمس على آفاقـها والعصافير تسوى زقزقات
حدثوني عن عشاش رطبـة بعثرتها الريح في كل الجهات

وليست هذه العشاش التي بعثرتها الريح سوى رمز للوطن الذي بعثرته حوادث الايام وريح الزمن، ثم يقول:

عن حفيف التوت في ساحتنـا عن عبير في ذرانا الملهمات
حدثوني أنا قلبي بيـدر فارغ حن لضم السنبـلات
املاؤه عن حكايات بلادي انها أروع ما في الاغنيـات(١)

أما شوق الشاعر لضم السنبلات، فلا يعني الا أمل الشاعر في استعادة هذه الارض، وضم أجزائها في جسد واحد.

وهذه الارض التي امتزج بها شاعر المقاومة، صارت فيما بعد أشبه بالاحلام والرؤى، وما أروع الاحلام وما أقدسها في نظر الشاعر العربي، أي شاعر عربي، أليس هو الشاعر الذي تغنى قديماً بالاطلال والدمن، وكانت تجتمع في خياله رؤى وأحلاماً يبكيها ويستوحي صور الماضي منها؟!

وفي ظني أن صور هذا الشعر المقاوم تشبه صور شعرنا الجاهلي، وتقترب منه أحياناً، فاذا بالشاعر الفلسطيني يستجمع في خياله كل ما كان يتعلق بحياته في هذه الارض. وقد صارت في نظره الان أشبه بالطلل، بل هي لا تثير في نفسه

(١) ديوانه: ص ١٨ و ص ١٩.

الحنين وأحلام الماضي فحسب.وإنما تختلط بهذه الأحلام صور من الاسى والالم على ما ضاع واغتصب مثل هذه الصور التي تذكرنا بحنين الشاعر الجاهلي الى موطن ذكرياته ووقوفه على طلله،ما جاء في قصيدة(بحيرة الزيتون)ليوسف الخطيب التي يقول فيها:

أقريتنا سألت الريح ان مرت بأطلالك:
و أسراب الصقور المتخمات سألت عن حالك
وأعلم أن رواية الطلول حديثه مر
كذلك حدثت عنك الرياح واردف الصقر
تظل جدائل الزيتون طول العام مرخية
على دار لنا في وحشة الاطلال منسية
يلوح ركامها المهجور أشباحاً ضبابية(١)

ونحن نتساءل الآن:لم يتوجه يوسف الخطيب الى الصقور يسألها والرياح يستجوبها عن أطلال بيته وحال بلاده وشؤون قريته،أليست الريح أو الصقور —وهما لا تثيران الا معنى القوة ولا تشعران الا بقسوة الحدث—وسائل أراد بها الشاعر أن يجسد معنى الغربة ويثير جانب الحنين،لكننا قلنا أن الفرق بين شعرنا الفلسطيني وشعرنا القديم هو ما يختلط بصور شاعرنا الفلسطيني من الاسى والالم واللوعة،وقد يتضح هذا في الصورة الاخرى من نفس القصيدة:

أقول لها اذا وافيت عند النهر قريتنا
فحطي بعض ساعات وبثي الدار لوعتنا
أقريتنا وحق ثراك ما أغفى لنا جفن
يظل الشوق يسهدنا وينزف دمعنا العين

وفي رأيي أن رقة هذه المشاعر وعمق هذه العواطف لدليل على حب الارض والانشداد اليها والاعتزاز بها.

(١) مجلة الآداب : عدد ١٠ ،سنة ١٩٥٧،ص ٣.

وبمرور الزمن، صارت، هذه الذكريات ما يشبه(الفولكلور)ولذلك رأينا توفيق زياد يصور لنا في(لوحته الفولكلورية)شجرة(الفيجن)والوردة والفلة والبيدر، ويذكر لنا الزيتون والسدرة والموقد والعيدان والحلة والسلة.....الخ.

أمي الحبيبة
لك مني مئتا قبلة
ابعثها من بيتنا العالي على التلة
من شجرة(الفيجن)والوردة والفلة
والبيدر الضاحك من دغدغة الغلة
من نصبة الزيتون والسدرة...والملة
والموقد الصائم...والعيدان والحلة
من كرمة في كل صيف...تملأ السلة(١)

هذه الارض التي يذوب في تربتها الشاعر وهذه(الاطلال)و(صور الفولكلور) التي يعتز بها صارت اذن مجرد أحلام يحن اليها وتصبو نفسه الى أن يعود اليها. ثم لا يتصور بعد كل ما يقول الا انه يعدو وراء سراب او يسبح في جو من الاحلام لان هذه الارض ليست هي الآن أرضه وما فيها من(أشياء)ليست هي الآن ملكه، وانما هو يشعر بقيد لا ينفك أن يقيده ويعتصر الدم من معصمه. ولذلك وجدناه يتغنى بالحرية ويؤكد عليها في شعره، بل يجعلها هدفاً من أهدافه. وليس مفهوم الحرية في نظر شاعر المقاومة مفهوماً ضيقاً كما لم يستعمله استعمالا أنانياً، فهو لم يطلبه لابناء فلسطين ولا لأبناء العروبة فحسب. بل يطلبه لكل انسان مظلوم، ولكل نفس حبيسة، ولكل فرد مقيد، فمفهوم الحرية عند شاعر المقاومة مفهو م انساني عاموليس محلياً خاصا.

واذا كانت الحرية تمنح للمظلومين والمشردين. فما أحرى بشاعرنا أن يطلبها للانسان الفلسطيني المعذب قبل أن يطلبها لغيره لا لأنه يفرق بين الانسان المعذب

(١) ديوانه : ص ٧٢ .

في فلسطين وبين غيره، بل لأنه يعاني معه هذا العذاب ولأنه أيضاً أول المعذبين في هذه الارض و لأنه ولد وسط العذاب وما زال يتعذب كلما أن جريح في بلده، أو امتدت عيناه الى أرضه. ومن أجل ذلك وجدنا توفيق زياد يمنح كل شيء للحرية حتى أنه ليمنحها قلبه حين يقول:

فأنا اعطي الحرية
وحقوق شعوب الارض
الكبرى والصغرى
آخر نبض من قلبي (١)

ولان هذه الحرية شيء عزيز فهي اذن شيء جميل يقترن بالزنابق والورود بله الربيع هكذا يقول سميح القاسم في ديوان دمي على كفي:

فلتشرب زنبقة الحرية
في سفح الجبل الاحمر.
لتسيل ربيعاً... في عطش الصحراء
صحرائي العربية (٢)

على ان هذا الالتزام بالمحلية الذي عبرت عنه كل القصائد السابقة— والذي ظهر في اتجاهات الشعر في التعبير عن التمسك بالارض الفلسطينية والتعلق بمظاهرها— لا يمكن ان ينفصل عن الالتزام بالاماني القومية للامة العربية ذلك لان مأساة الشعب الفلسطيني هي جزء من مأساة الامة العربية كلها بل هي مأساة هذه الامة بعينها خصوصاً بعد نكسة حزيران— ١٩٦٧ وأصبح

---

(١) ديوانه : ٤٤١ .

(٢) ديوان سميح : ٦٤

من العسير على الدارس ان يفرق بين التزامه لقضايا الشعب الفلسطيني والتزامه بقضايا الامة العربية.بل يمكن اعتبار هذا الشعر منذ سنة ١٩٥٦ ممثلاً لاماني الامة العربية، ذلك«ان عدوان ١٩٥٦ على مصركان نقطة تحول اساسية في تاريخ ذلك الشعر وكذلك كانت ثورة الجزائر وثورة اليمن وبناء السد العالي»(١)وعلى أي حال فانه منذ منتصف الخمسينات من هذا القرن صار شعر المقاومة الفلسطيني يعيش في وجدان الامة العربية ويعتز بتراثها بكل قضاياها وأمانيها الوطنية والقومية خصوصاً تلك التي تشارك حركة الثورة العالمية دعوتها في انقاذ الانسان المعاصر من الذل والظلم والقسر، وفي التخفيف عن الام الجوع والحرمان الذي يكتنفه ويهدد حياته.

« وبسبب سياسة الاضطهاد القومي التي يصبح هؤلاء الشعراء على تعفسها ويحسون بسبب المحاولات المتتابعة لاضعاف الصلة بالماضي التي تنتهجها السلطات الحاكمة، قامت الرغبة المضادة لدى الكثيرين من الشباب للتعلق بهذا التراث» . (٢) والتزام شعر المقاومة بالقضايا القومية للامة العربية لايقتصر على بلد دون بلد ولا على حدث دون حدث، فكأنه كان يرصد كل أحداث الامة العربية في كل بقاعها ويعيش معها ويتمثلها.

ومن هنا يمثل هذا الشعر بحق وجدان الامة تمثيلا صادقاً، ويتفاعل مع كل حركة ويختلط دمه بكل قطرة من دمها، خصوصاً اذا عرفنا أن هذا الشعر هو رافد من روافد الشعر العربي. لا ينفصل عن نهره ولا يبتعد عن عرقه. ولعل ثورة الجزائر كانت أعظم أحداث الامة العربية التي عبر عنها هذا الشعر المقاوم، وتمثلها تمثلا ناضجاً.

وهذا(حنا أبو حنا)يربط حرية الامة العربية وثورتها بحرية الجزائر وثورتها فيقول:

---

(١) غسان كنفاني : الادب الفلسطيني المقاوم : ص ٨ .
(٢) عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة ص ٦٥٢ .

ورأيت شعبي سيل نار دافـــق متوثب في موكب الاريـــاح
وإذا اللهيب بريق عينك ساطعا وعيون شعبي الثائر الطمـــاح
فلأجل تحرير الجزائر ثورتي ولأجل رغدك وثبتي وكفاحي(١)

وقد استهوت هذه الثورة قلوب كل شعراء المقاومة،ولذلك وجدناهم جميعاً يعيشونها ويتمثلونها في شعرهم،وينحنون امامها تقديراً وتقديساً وحباً.ولعل أكثر من تغنى بها،وأشار اليها راشد حسين وأبو أياس،ومحمود دسوقي،وجمال قعوار،وحنا أبو حنا،وعصام عباس،وفوزي الاسمر(٢).

واذاكانت ثورة الجزائر حافزاً لهذا الشعر تجعله يتغنى بثورة الامة فانه —أي هذا الشعر—قد استوعب كل أحداث أمتنا—كما ذكرنا—.

وعلى رأس هذه الاحداث معركة بور سعيد التي تغنى بها كل شعراء المقاومة. فهذا توفيق زياد يتغنى ببطولة الشعب المصري الذي تحدى جحافل الغزاة فيقول:

يا شعب مصر ومصر قبر غزاتها حييت من شعب أبي مقدم
حشدوا جحافلهم وعدة حربهم فصمدت لم تجبن ولم تتحطم
شعب بأيديه يصارع جحفلا بمدافع وبطائرات حـــوم(٣)

على أن صورة هذه الامة لا تظهر في شعر شعراء المقاومة لاحداثها الخاصة. وانما تتجلى هذه الصورة بروعتها وضخامتها في حرارة التعبير العام عن وجدان الامة تعبيراً تتمثل فيه كل أماني الامة وآمالها في الانتصار على التخلف والانحطاط والارتفاع بمستوى الانسان العربي الى ما يكفل له حياة أفضل،واجتياز حدود هذا التخلف الى مكان يحتفظ فيه بكرامته وحريته.ولعل أروع من تمثلوا وجدان هذه الامة الشاعر سميح القاسم في قصيدته المسماة(الى الاسطى سيد)وقد اختار هذا الاسم ليمثل به نضال الانسان العربي الكادح الذي صنع—رغم مستواه الشعبي العادي—المعجزات وحقق المستحيل،وفيه يقول:

---

(١) المصدر نفسه : ص ٧٤
(٢) ينظر في ذلك : الادب الفلسطيني لغسان كنفاني ص ٧٢و٧٣.
(٣) ديوانه : ٤٢ ،وانظر ديوان سميح : ص ١٩ قصيدة في الغرض نفسه .

يا أسطى سيد
ابن وشيد
شيد لي السد العالي
اطفيء الغيظ الغالي
وأمنحنا...وامنح أهلك
كوباً من ماء
وخضاراً..وزهوراً وضياء

إذن فالذي يمنحه الاسطى سيد بساعديه وعرق جبينه: الزاد والسعادة والحرية ويستمر سميح في شرح خطر هذا الجهد فيقول:

أزف الموعد
والقرية الصحراء...العطشى تحلم
والبذرة في الثلم الصابر تحلم
بأسم ضحايا الاهرام وبأسم الاطفال
ابن السد العالي..يا صانع حلم الاجيال(١)

ويرسم توفيق زياد أبعاداً أوسع لوجدان هذه الامة في ثورتها على التخلف وفي حربها للاضطهاد، ودفعها تحكم العدو بمصير الامة العربية، فيشير الى كل ماتتوقف عليه حياتها في المصانع والمزارع والمدارس. ويضع داخل اطار هذه الصورة لوحة تمثل كل الشعب، عماله، فلاحيه، طلابه، شهداءه.

سأكتب
وعلى أبواب مصانعنا
ومدارسنا، ومزارعنا
وعلى جدران قصور العمال
وعلى راحات الاطفال
وعلى انصاب الشهداء الابطال

---

(١) ديوانه : ٩٧ .

وعلى أكتاف الطيارين الشجعان

ولا تمثل هذه الصورة مكاناً معيناً وانما تمثلها أرض الامة العربية كلها وتستوعبها.

وسأكتب

في كل مكان

في القدس العربية

في غزة في الجولان(١)

هذه هي صورة الامة في شعرنا المقاوم،بل هذه هي حدود الارض العربية ترسمها وتحدها عواطف هؤلاء الشعراء الثوار الذين وضعوا أنفسهم وأرضهم وعواطفهم، بل كل مشاعرهم ووجدانهم داخل اطارها،لانهم يرون ان التزامهم بقضية الثورة الفلسطينية يعني التزامهم بالثورة العربية،وقضيتها في كل مكان من أرض العرب.

ويسهم محمود درويش في رسم صورة الوجدان العربي،فيكمل ما وضعه زميلاه سميح وتوفيق في هذه الصورة من أبعاد هذا الوجدانحين يفسح المجال لليبيا أن تحتل مكاناً في صورة هذه الامة فاذا هي تتعانق—بعد الثورة—مع الشام ومع مصر،فترتفع بذلك زغاريد الفرح وتقوم أقواس النصر مقام سلطان الالم.(٢)

ولم ينته وجدان الامة في شعر شعراء المقاومة عند الحدود التي ذكرناها فقط وإنما يمتد أيضاً الى فكرها الذي يحفظ لها هذا الوجدان ويقيها من الضياع إذ لا وجود لامة—أية أمة—دون فكر يمثل تاريخها في ماضيها وحياتها في حاضرها وأمانيها في مستقبلها وتطلعها. ومن هنا كان تقديس شعر المقاومة للفكر وللكلمة التي هي أداة هذا الفكر.

---

(١) ديوانه : ٤٥٢ .

(٢) انظر ديوانه : ٢١.

وقد تنبه سميح القاسم الى أهمية الكلمة وخطورة الفكر،ومن هنا كان تقديره لاهل الكلمة وأصحاب الفكر. وقد أشار في قصيدة له الى أثر نجيب محفوظ في شحذ الهمم ورأى أنه يمثل أحلام الامة وقدر فيه شموخ الحرف وجرأة الفكر،وأشاد بتجسيده لاحلام هذه الامة فقال:

فاغرف من أعماق البئر العذراء
واسق العامل والفران وأطفال الحارة.
فالناس ظمآء
أكتب عن شحذ الهمة
أكتب عن أحلام الامة
طوبى للحرف الشامخ في الليل مناره (١)

أما ضمير هذه الامة فلا يجسده خير من وحدتها.وضم أشتاتها والتقاء قلوب أبنائها. وطالما أن شاعر المقاومة قد التزم بقضايا الامة العربية،فان عليه أن يجسد أماني شعبها ويضم صوته الى دعوة جماهيرها الكادحة، ذلك أن هذا الالتزام الذي أشرنا اليه، وتحدثنا عنه انما هو في الاساس التزام قضايا الجماهير. ومن هنا فان الدعوة الى الوحدة، ليست سوى الالتزام بأهم قضية تطرحها جماهير الامة العربية. ولذلك يرى سميح القاسم أن هذه الوحدة هي ثمرة تضحيات الملايين:

كفى لن نقبل العذرا
فقد طالت أمانينا
ولم تهدأ أغانينا
وضحينا الملايينا
قرابينا
فدى للوحدة الكبرى (٢)

---

(١) ديوانه : ٨٨ .
(٢) ديوانه: ١٥٦ .

على، ان هذا الالتزام لم يقتصر على استيعاب وجدان الامة والدعوة الى الوحدة وتقديس فعل الكلمة والذوبان في تربة الوطن،والتغني بثورات الامة،وإنما تمثل أيضاً في مقاومة الظلم ومقارعة الاستبداد ورفض التحكم، وهذا التمثل يعبر عن أقوى ما يلتزم به شعر المقاومة.ولذلك جاء التعبير عنه قوياً صارخاً مدوياً لانه لا يتكلم بأسم صاحبه فحسب، وإنما يتكلم بأسم الجماهير لانه يلتزم بقضية الجماهير.ومن هنا كانت كلماته والفاظه شواظاً من نار على رؤوس الظالمين.

ثوروا على الظلم والطغيان واتحدوا الى متى شعبنا للظلم يحتمـــل
سيروا نحطم قيداً قد علاه صدا ونهدم الظلم لا خوف ولا وجل
مرت سنون على الاوطان حالكة فما رأى ظلمنا آباؤنا الأول (١)

وهكذا يرفض محمود دسوقي ظلم اليهود ويحطم السلاسل التي حرمته حريته دون خوف أو وجل، وهو في هذا كله ينطلق من مبدأ التمرد ضد الظلم والتعسف.ولعل هذه الظاهرة—ظاهرة التمرد على الظلم ورفض التعسف—من أبرز ظواهر الأدب الفلسطيني ظهوراً على ممر العصور، وفي مختلف اتجاهات الشعراء.حتى صارت قصائدها أغاني ترددها الافواه في كل مكان وفي كل عصر،ولعل المواطن العربي لا ينسى صرخة هارون هاشم رشيد في رفضه الظلم وتمرده على الواقع المستبد حين يقول :

أنا لن أعيش مشـــــردا أنا لن أظل مقيـــــــدا
أنا لي غد وغدا ســـــــأز حف ثائرا متمـــــــــردا
أنا لن أخاف من العـــــوا صف وهي تجتاح المدى(٢)

وخلاصة القول في هذا الالتزام أن نقول أن الدارس لشعر المقاومة الفاسطيني لا يستطيع أن يضع حدوداً عميقة بين المحلية التي يمثلها تقديس الارض الفلسطينية ومعالجة قضايا الشعب الفلسطيني، وبين القومية التي تمثلها كل قضايا

(١) غسان كنفاني : الادب الفلسطيني المقاوم : ٦٣ .
(٢) ناصر الدين الاسد : الشعر الحديث في فلسطين والاردن : ٢٧٩ .

الثورة في الاقطار العربية الاخرى، ذلك لان كلا من رافد المحلية،ورافد القومية يجري في أرض واحدة هي الارض العربية. ولان لكل منهما جذوراً عميقة يلتقيان عندها هي جذورر الوجدان القومي الواحد. ولأن كلا من هذين الرافدين يصدر عن نبع واحد.على أن التزام هذا الشعر المقاوم لم يقتصر على حدوده المحلية والقومية،وإنما تعداها الى حدود العالمية. وذلك لان هذا الشعر يدرك(التزامه بحركة الثورة في العالم التي هي في نهاية المطاف المناخ الذي تنمو داخله الحركة الثورية المحلية).(١) وفي هذا الشعر أيضاً لا تحس(بأثر من آثار الفردية أو الانعزالية،وإنما هو صوت جماعة متعاونة متآزرة يشد بعضها بعضا. (٢)

(وجنبا الى جنب مع المعارك المصيرية التي خاضها شعراؤنا الثوريون مع شعبهم هنا،والتي كونت عناصر شعرهم...خاضوا معركة مصيرية،معركة الصلة العضوية الحية مع الشعوب الاخرى وكفاحها).(٣)

ولذلك فنحن نقف أمام عشرات من القصائد موجهة كلها الى الحركات الثورية في العالم،أو هي موجهة للثوار الذين سجلتهم تلك الثورات وخلدت ذكرهم.فلمحمود درويش قصيدة(أناشيد كوبية)ولفوزي الاسمر قصيدة بعنوان(أنا عبد)موجهة لشعب أفريقيا.ولسميح القاسم عدة قصائد عن لومومبا وأفريقيا وزنوج أمريكا.(وديوان عصافير بلا أجنحة)لمحمود درويش(في معظمه غناء لثورات أفريقيا)والذي غنى لثورات العالم بأخلاص وعمق وتلقائية تبعث على الاعجاب والذي قدم أجود رثاء عربي للشاعر الاسباني الثائر لوركا). (٤)

فعالمية الشعر المقاوم العربي تتجلى اذن في عمق الالتزام بالقضايا الانسانية هذه القضايا التي لا يمكن فصل الواحدة منها عن الاخرى،فمن تحد للظلم الى مقارعة

(١) غسان كنفاني : الادب الفلسطيني المقاوم : ٦٣ .
(٢) عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة : ٦٥١ .
(٣) المصدر نفسه : ٦٢٥ .
(٤) غسان كنفاني : الادب الفلسطيني المقاوم ص ٦٦.

الارهاب الى الحث على النضال الى طلب الحرية وغير هذه وتلك من القضايا التي لا يزال الانسان في كل منطقة من مناطق العالم يعاني منها ومن آثارها، أولى هذه القضايا التي التزم بها شاعر المقاومة مسألة الحرية التي هي من أهم المسائل التي تدافع عنها كل قوى الثورة في العالم، ومعالجة الشاعر الفلسطيني لمسألة الحرية شيء طبيعي لان هذه الحرية شيء لا يتجزأ، فالدفاع عنها ضمن الحدود المحلية او القومية جزء من الدفاع عنها ضمن العالمية وطلب الحرية للانسان الفلسطيني أو العربي هو جزء من طلبها للانسان الافريقي أو الفيتنامي وهكذا...

ومن هنا كان اعتزاز الشاعر بأبطال الحرية في أفريقيا أو فيتنام أو كوبا هو نفس اعتزازه بأبطال الحرية في فلسطين او الجزائر أو مصر أو العراق.

فهذا سميح القاسم يتغنى بكاسترو زعيم كوبا، وكأنه يتغنى بزعيم عربي، طالما يحطم هذا الزعيم أغلال الشعب فهو شعلة في(عتمة أمريكا)وهو(منقذ البلاد المنهوبة):

قدما...قدما في هذا الدرب
يا حاطم أغلال الشعب
قدماً يا أول شعلة
في عتمة أمريكا المحتلة
ياغوث الجزر المنكوبة
بأسم الحرية والانسان
ما عاد مسيحاً يصلب(١)

لكن سميح ينفعل أكثر حين يتحدث عن التفرقة العنصرية في أمريكا، ويرسم صورة حية لقاتلي الحرية هي صورة (أمريكا في القرن العشرين)بل صورة (أمريكا المتحضرة)التي لاتفرق بين الزنوج والكلاب.

قل لي..حدثني عنكم في أمريكا الحرة
من مدرسة البيض..كنيستهم..فندقهم
كتبت بالفسفور وجابت كل الحارات وعبارات

(١) ديوانه : ٨٣ .

«ممنوع إدخال كلاب وزنوج»

والابيات لا تتحدث عن أعداء الانسان في أمريكا، بل تشير الى فضائحهم في أفريقيا

هل تسمع عن أسد يصطاد
عن حقل مزروع شهداء
عن شعب ينبت في أرض
بدماء القتلى مروية
عن شمس تولد حاملة
خبزاً.. أحلاماً.. حرية

هل تسمع عن أفريقيا(١)

تلك هي صورة الانسان المعذب في أمريكا وأفريقيا، بل تلك هي صورة أعداء الحرية. ولست أشك أن هذه القصيدة هي ثمرة تجربة مريرة للانسان المعذب في فلسطين، ولست أشك أيضاً أن هذه اللوحة الانسانية التي رسمها سميح تعبر عن تجربة شعرية ناضجة عاشها الشاعر، وعاش أمثالها على أرضه، وفي معظم مراحل حياته، بل لست أشك كذلك أن هذا الزنجي أو الافريقي المغتصب والمعذب هو هنا رمز لأخيه الفلسطيني المغتصب والمعذب.. انها لصورة تحمل شحنة عاطفية تتعاطف مع خيال حلق بالشاعر فوق مجاهل أفريقيا وأرض أمريكا. هكذا اذن يكون الالتزام بالقضية.

وقد ارتبط مفهوم الحرية لدى شاعر المقاومة بمفهوم السلم، وصار هذا المفهوم من أوسع المفاهيم الحديثة التي ارتبط بها شعرنا المقاوم، واتسع مداه حين أسهم بحركة تحرير الشعوب المضطهدة المجاهدة، ومن هنا فقد كان هذا المفهوم من أقوى الوسائل التي ربطت شعرنا المقاوم بشعر المقاومة في العالم، ويستطيع القارىء أن يقف على هذه الحقيقة في أبيات الشاعر خليل زقطان، التي تمثل تياراً عربياً قومياً، ولكنه تيار واسع المدى بعيد الحدود، لا يقتصر أثره على حدود قضيتنا الفلسطينية، بل يتعداها الى حدود العالم المضطهد البعيد.

(١) ديوانه : ٧٦ فما بعد .

نسير بشعبنا المضنى مع الاحرار في الركب
فلا قيد ولا رق ولا داع الى الحرب
تعال نشارك الانسان في تحريمه المدفع
تعال لنزرع الدنيا أمانا أينما نزرع(١)

ومن أجل الحرية يناضل المناضلون، وفي طلبها يموتون ويستشهدون. ومن هنا ارتبط مفهوم النضال ضد الاستبداد والتحكم والاستعمار بمفهوم الحرية. والشاعر الملتزم لا يفرق بين المفهومين لان الحرية هدف من أهداف النضال، والذين يسعون الى الحرية يناضلون من أجلها، وكما تغنى شعرنا المقاوم بالحرية، فقد أنشد في مقاومة العسف والاستبداد، لا العسف في فلسطين والجزائر، وإنما العسف في تركيا واليونان وكوبا..وأفريقيا..وغيرها .

فمن وجهة نظر الشاعر الملتزم، لا يختلف النضال ضد الارهاب والعسف . إن كان في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا، فالعسف هو العسف والنضال هو النضال، ولذلك كان الشاعر الفلسطيني المقاوم يترصد كل حركات المقاومة في العالم وينسج حولها أغاني النضال وأناشيد الحياة. ومصدر هذا الرصد كما ذكرنا هو الالتزام. ومن هنا كان توفيق زياد يطلق نشيده في (مانيلاس غليزوس) البطل اليوناني الذي قاوم الاحتلال الهتلري. ثم وقف بعد ذلك أمام حبل المشنقة ليلقى الموت على أيدي الحكم العسكري في اليونان، فهذا المناضل في نظر الشاعر رمز لكل انسان مناضل فلسطيني، أفريقي، أمريكي، يوناني...الخ .

ومن هنا كانت تحية الشاعر للبطل المناضل بأسم كل المناضلين العرب :

من شعبي من صدر عروبتي الخضراء
من أخواني خلف الاسلاك السوداء
من مصر وسوريا من بغداد
من وهج المدفع الرشاش
يقرع شعبي الاجراس

---

(١) ناصر الدين الاسد : الشعر الحديث في فلسطين والاردن : ٢٩٨ .

فتصيح الاجراس
الحرية

الحرية لمنيلاس (١)

أما أبو سلمى فأنه يفهم الحرية فهماً شاملا لا يتجزأ يريدها لنفسه ولرفاقه في التاريخ .

أيها الثائرون في العالم الرحـــب على الظالمين في الآفـــاق
حطموا النير فهو من أثر الـــو حش على الارض واعصفو ابالوثاق
وامسحوا الظلم والجهـــالة والفقر من الكون بالدم المهراق
أينما كنتم فنحن رفـــاق وحدتنا حرية الاعتـــاق
في الميادين والمعامل اخوانـــا وفوق الربى وفي الاعمـــاق
جمعتنا مبادىء وعهـــود فالتقينا من قبل يوم التلاقي (٢)

أما نهر العمال فيلتقي عند مصبه كل الشعر المقاوم في العالم،وليس غريباً أن يكون صوت العمال هو صوت المشاعر الانسانية،بل هو صوت الكادحين والمناضلين.ومن هنا كان التزام الشعر المقاوم بقضايا الكادحين التزام قضية ولا يستطيع القارى في كثير من الاحيان ان يقف على حدود معينة لصورة الكادحين في تعبير الشعراء،فالعامل هو العامل في الفولغا والاورال ومصر ولبنان والصين والصومال وكوبا. كما يقول سميح القاسم:

سلاماً يا سواعد اخوتي العمال
سلاماً يا مداخنهم
سلاماً يا منازلهم
سلاماً للجسور الشهل
للالات للابراج
وجاء معلمي الجوال
من الفولغا أتاني

(١) ديوان توفيق زياد : ص ١٥٤ .
(٢) عبد الرحمن ياغي : حياة الادب الفلسطيني الحديث ، ص ٢٤٤.

من ذرى الاورال
من الهند الشقيقة جاءني
من مصر من لبنان
أتاني من بلاد الصين
من كوبا...من الصومال(١)

ولقد صار الشعر الفلسطيني المقاوم سجلا لكل المناضلين في العالم،فالشعر الفلسطيني لم يعش بمعزل عن حركات التحرر والنضال في العالم لانه شعر ملتزم ولانه يحيا في وسط النضال،ولانه يعيش مع هؤلاء المناضلين في قلوبهم وفي أشعارهم.ومن هنا صار هذا الشعر سجلاً للمناضلين،يحكي قصصهم ويروي أخبارهم ومن هنا كان يعرض على شعوب العالم اسماء المناضلين واخبارهم ويحكي بطولاتهم.ويفضح أساليب التحكم في تلك البلاد.فشعر المقاومة اذن صار بديلاً عن كثير من وسائل الاعلام والتلفزيون والراديو والصحف والمجلات وغيرها.ولعل القارىء لم يكن يعرف الكثير عن لوركا شاعر الحرية الكبير في اسبانيا ، لو لم يؤكد عليه شعراء المقاومة في بلادنا فصورة لوركا في شعر محمود درويش هي صورة الشاعر والبطل المناضل:

أجمل البلدان أسبانيا ولوركا يا صبايا
أجمل الفتيان فيها
يا مغنى النار وزع للملايين شظايا

. . .

آخر الانباء من مدريد أن الجرح قال
شبع الصابر صبراً
اعدموا غوليان في الليل،وزهر البرتقال
لم يزل ينشر عطراً(٢)

وهذا توفيق زياد يعرفنا بالشاعر السوفيتي مایاكوفسكي قبل أن يكتب عنه جلال فاروق الشريف بعدة سنوات،فيقول :

(١) ديوانه : ٢٧ .
(٢) ديوانه : ١٤٦ .

يا من أعطيت الكلمات
تعابير ملامح
ووهبت الدنيا...الحرف الجارح
والاغنية الخضراء...فؤاد الكادح
مايا كوفسكي
ازأر..انشد..اسخر(١)

ويسجل الشاعر نفسه قصة—نضال شعب الكونغو التي يمثلها بطلها المناضل لومومبا،وجاءت القصيدة نفسها بعنوان(لومومبا)(٢).

ولم يكن هذا الشعر المقاوم سجلا لتخليد ابطال وزعماء التحرير فحسب، فالعالميةمفهوم ضخم يستوعب أحداث العالم،ويحكي قصة كفاح الانسان، ويسجل صورالمآسي التي يرتكبها اعداء الانسانية. وذلك لان هذا الشعر—كما قلنا—كان يرصد هذه الاحداث ويتبع أخبارها.ويتابع تطورها. فاذا نحن أمام صورة هيروشيما في قصيدة لسميح القاسم يقول فيها :

طفل بلا رجل.بلا عين.ومحتلون بلا وجه
وتقهقهه الاوباء والقحط الخبيث
كل الاناث هنا عواقر
قلبي على العمال خوف الجوع .ايديهم تصوغ الخوف
من أجل الصغار
قلبي على الانسان من قلق الدمار (٣)

وقد يتصور بعضهم أن هذا الشعر،من غير هدف وليس الامر كذلك لان صورة هيروشيما لا تزال تمثل أمام العالم كله في حرب فلسطين وليست الابادة التي يمارسها بأقل من تلك التي وقعت في هيروشيما.فهيروشيما هنا ليست سوى رمز لفلسطين.

(١) ديوانه : ٢٣٤ .
(٢) القصيدة بديوانه : ١٧٠ .
(٣) ديوانه : ٧٦.

أما قصيدة سميح(الى ثوار فيتكونج)فتمثل روعة التلاحم بين ثورات العالم ووحدة وكفاح الانسان ضد التحكم والتعسف. بل انها تعبر عن قوة النضج وعمق التجربة لدى شاعرنا المقاوم فليست هاتان الثورتان سوى صورتين لجسد واحد انهما رمز لكفاح الانسان ضد قوى التحكم والعسف.

وحينما ينشد شاعر الثورة الفلسطينية لثوار فيتكونج، فانما هو ينشد لثوار فلسطين، وحينما يتحدث عن صرخات الاحرار في فيتنام، فانما هو يقصد صرخات المجاهد الفلسطيني، وحين يطالب بموت الامريكيين، فانما يطالب بموت الصهاينة وهكذا. يكون منطلق الشاعر الفلسطيني واحداً في كل الاحوال. لان كلتا الثورتين تصدران عن نبع واحد، بل هما جزء من ثورة الانسان على التخلف والتحكم والسيطرة. واستمع الى سميح يصرخ بأعلى صوته. ويهدر بأقوى كلماته حين يتحدث عن ثوار فيتكونج :

اسمعها تهدر ملء فمي
اسمعها في الوديان على الغابات على القمم
اسمع صرخات الاحرار وقهقهة الرشاش
اسمع غارات الفاشست الاوباش
وأصيح أصيح بلا صوت
الموت لالهة الموت

على أنه يجدر بنا قبل أختتام الحديث عن هذا التيار العالمي. أن ننوه الى أن أغلب الذين عبروا عنه ونظموا قصائدهم في معالجة موضوعاته. هم شعراء يلتزمون بتيار اليسار السياسي. فقد كان محمود درويش عضواً في احدى منظمات الحزب الشيوعي. ولا زال كذلك كل من سميح القاسم، وتوفيق زياد وآخرون.

وتفسير ذلك عند بعض الدارسين، ان هؤلاء الشعراء كانوا بحاجة الى تأييد القوى الديمقراطية في العالم. يقول عبدالرحمن ياغي(لقد ساهم شعراؤنا الثوريون

بنجاح في هذه المعركة، ورفعوا عالياً لواء التضامن الاممي واخوة الشعوب في شعرهم..ليس من ناحية انسانية مجردة، نظرنا الى تمتين الصلة مع القوى الديموقراطيةالاخرى محلياً وعالميا.. لقد كنا بحاجة ماسة الى كل تأييددیموقراطي لكفاحنا)(١) .

على أننا نضيف شيئاً آخر الى ما يراه الدكتور ياغي، وهو أن قوى اليسار الشيوعي تولي دون غيرها أهتماماً الى قضايا الفكر، وما يتعلق به،وكأنما كانت تحس أكثر من قوى العالم الاخرى خطر هذه الناحية، فهي تبذل الكثير في سبيل اجتذاب مفكري العالم نحو قضاياها المعاصرة. ومن هنا نجد سيطرة معسكر اليسار الشيوعي على قضايا الفكر في العالم. بينما يلتزم الاتجاه المحلي والقومي شعراء يصدرون عن تيار قومي عربي من مثل هارون هاشم رشيد. وفدوى طوقان،ومحمود دسوقي،ويوسف الخطيب وغيرهم .

وبعد فلست أريد أن أنهي هذا البحث دون الاشارة الى أن هناك وفرة من المظاهر العامة الانسانية،تلتقي في اطار الشعر المقاوم العالمي،الذي عبر عنه شعر المقاومة الفلسطيني الملتزم،فدواوين الشعراء تزخر بعشرات القصائد التي تصل الى مستوى الجودة كلها تعبر عن قضية الانسان ووجوده وتتحدث عن العلاقات الانسانية التي لا يجمعها شيء أعظم من صوت الكلمة.

---

(١) عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة ،ص ٦٢٥ .

المراجع:

١ــتوفيق زياد، ديوان توفيق زياد، بيروت بدون تاريخ.

٢ــسميح القاسم، ديوان سميح القاسم، بيروت، ١٩٧٠.

٣ــعبدالرحمن ياغي: حياة الادب الفلسطيني الحديث، بيروت، بدون تاريخ.

٤ــعبدالرحمن ياغي: دراسات في شعر الارض المحتلة، القاهرة، ١٩٦٩.

٥ــغسان كنفاني: الادب الفلسطيني المقاوم، بيروت، ١٩٦٨.

٦ــفدوى طوقان: ديوان وجدتها، بيروت، بدون تاريخ.

٧ــمحمد غنيمي هلال، الادب المقارن، ط٤، القاهرة، ١٩٧٠.

٨ــمحمود درويش، ديوان محمود درويش، بيروت، بدون تاريخ.

٩ــناصرالدين الاسد، الشعر الحديث في فلسطين والاردن، القاهرة، ١٩٦١.

١٠ــمجلة الاداب، عدد ١٠، بيروت، ١٩٥٧.